الفصلُ الثّاني

[جذوات]

وطني ...

واوك ورود الكرامة وأزاهيرها

طاؤك طهر تتوضّأ به الحياة

ونونك نماءُ كلِّ ما يحتاج النّماءَ، ونقاء ما بعده نقاء...

فلنحافظ على الكلّ والأجزاء

هناك على بساط العاطفة العطشى للنّور

في دياجير قلعة الأشواق

ناحت حمائم الأمل مع رحيل شمس الأصيل

وعلى الجبل العالي كانت ليلى تنتظر الشّروق

ترحل الشّمس ولم تحظ بقبس من نور

****

ترشح جرار المعرفة اليقين، فنملأ الأكواب؛ لنرتشف الماء، ونحظى بالسّكينة ...

تمتصّ إسفنجات الجهل الشكّ، فيثقل الفهم، وتبقى المشاعر تجترّ وهم الأفكار

حتّى تمسي فريسة للضّغينة...

بين أقواس الصّدر جلست الأحلام مضغوطة

وفي السّماء تهادت ديمات الرّاحة، كسرت القفص، وهربت محلّقةً نحوها، زاحمتها في عليائها؛ لتلتصق بها وتندى.

وعلى حين غفلة، داهمها البَلل، وأثقلها ليسقطها.

أطلّت الشّمس ضاحكة، ومسحت عنها عبوس المحنة.

ومن الجوار مرّت ديمة الخير، ورشّتها بلؤلؤها، فأبقتها دانة في غمرة الإنشاد والطّرب ...

****

عندما يطيل المرء السّكنى في كهف ذاته، يصعب عليه التّجوال في أبراج ذوات الآخرين، فيشعر بالغربة، حين يغادر كهفه.

****

قهر الله عباده بالموت

وقهر ابن آدم نفسه بحبّ الحياة والبقاء

فيا له من عبد مقهور!.

كلمّا حرّك النسيم أغصان الشّوق، زادها قوّة وصلابة، فتقوى لمواجهة ريح الهجر ...

وقد تأتي صدفة اللّقاء، فيكون العود قد قسا، وجفّ ماؤه وتشقّقت أخاديده ...فلا ارتواء لمن عاشر الجفاء، وآثر العيش في فيافي البعد والنّوى...

إذا أغدق الرّجل على المرأة بحبّه، وزيّنها بتاج الوقار، وجعلها ملكة مملكته ، كانت له الأنثى والخادمة.

أمّا إذا ما همّشها يوما، وأرادها خادمة فقط، فإنّ أنوثتها تنقلب عليه ذكورة حاقدة.

* *

اشتقتك في ليالي القُرّ مُشعِلا مواقد الدّف

فوصلتَ في نهارات الحرّ

وزاد ذلك من تعرّق الرّوح والجسد.

قد تتسلّق الطفيليّات زيتونة، فتغطّيها وتخنقها بخضرتها مدّة، ولكن حين الإثمار، يوقِع مشط الفلاح حبّات الزّيتون أرضا، وما تبقّى يظلّ عالقا بين الأسنان.

****

كثيرون من يحاولون التّحليق في سماء العظمة من دون أن يتعلّموا الطّيران،لكن أثناء تحليقهم تحرقهم شهب جهلهم.

****

أثقلت الأحزان والزّفرات صدور الصّفحات ...
فأنّت المشاعر احتجاجا، واحتجّت أنينا... ثمّ اغتاظت لحيظات ...
لكنّها كظمت غيظها، وراحت تدغدغ ذاتها بحلو الكلام، ومزاح الخطاب؛ كي تخرجها من وحل الآهات
أبت تلك الذّات المزاح وصرخت :
ارفعي عنّي البعوض الذي يلسعني، ويدمي كلّ جلدي، فينزف التّفاؤل والمرح غضبا وحزنا...

ولا يبقي لي سوى محاولات الإسعاف لتطبيب وترقيع هذا الجلد؛ كي يقوى على تحمّل ما هو آتٍ...

****

كلّ حبّ قد تخبو جذوته يوما ما، ثمّ تستعر، إلّا حبّ الله، فإنّ جذوته تبقى مستعرة، دائمة الضّياء، وبهيّة الشّعلة في قلب من عرف ذلك الحبّ.

****

نكبر ونكبر... ويبقى طفلُ دواخلنا يطالبنا بالإغداق عليه وتدليله، فنتجاهله ولا نلبّي الطّلب؛ خوفا من اتّهامنا بقلّة النّضوج والعبثيّة... فيظلّ يصرخ، فنصحو ذات صباح على اجترار هذا الصّراخ بدون إدراك منّا...نتعب، وتشقى دواخلنا...

على حين غرّة، يقعدنا الحنين على ناصية الرّغبة، قرب باب تحقيق ما عجزنا عن تحقيقه ...

ننظر إلى القفل تارة، ونحدّق في المفتاح أخرى، فترتجف المشاعر حيرة ...

بعد لحظات، نقفل كلّ النّوافذ التي مرّ منها الرّيح تيقّنا ...

وتظلّ مسابقة شدّ حبل ذاك الحنين متجدّدة...

****

الحبّ كلمة من حرفين حبكت بحائها بين القلوب لتنتج غطاء مزركشا بطيبة العلاقة ونبلها بين المحبّ والمحبوب ... من الحبّ الإلهي إلى الحبّ الماديّ فالبشري

وبسطت ببائها أبسطة العلاقات الوثيرة التي تنزع من القلوب كلّ ضغينة ...وتشعل فتيل الفضيلة، ليغدو العالم بأجمل صورة!

ليس أجمل من ندى يعيد للنّفس حيويّتها بعد يبس، وتشقّق سبّبهما عجف السّنين ...

تنتعش، وتجاهد؛ كي تحظى بالبلل، وتغدو غضّة نديّة، ناسية ما امتّصته من ويلات وأذيّة...

قد تعتصرنا الهموم، وتجفّف عناقيد أحلامنا وهناءتنا، ولا تبقي لنا سوى العراجين التي نسوّر بها معاصمنا؛ لتظلّ مذكّرة إيّانا بقحط المصير، حتّى يغذق الله علينا من رحمته، فيرسلها مدرارا؛ لتنعش تلك العراجين... وتعيدها سيرتها الأولى .

لذا، لا بدّ لثلج اليقين ببسط الرّحمة، من إخماد جمرات الشّكّ بقبضها!

****

أطالت جذوة الحبّ المكوث بين أثافي الزّهد، والتّمنّع والتّحريم، فخافت أن تحوّلها الأيّام رمادا

غطّاها تراب القلق ، ففاجأها نداء التّمرّد...

في الصّباح ركلت حجارة الانطفاء؛ بحثا عن قبس ...

اعتلت جبل النّور، وعادت شهابا قبَسا...

أن يكون وجودك ثانويا في حياة فرد تعتبر وجوده في حياتك أساسيّا، فذاك أمر صعب. ولكنّ الأصعب، ألّا تجدّ من يستحقّ حتّى أن يكون ثانويّا في حياتك!

قد تمسي نيران المشاعر جذوة، ثمّ رمادا، فتقعد في كانون الماضي سنين... ليعيد إشعالها صبحا، فتيل حبّ جديد، لتكبر، وتستعر أتّونا، ربّما هربا من قتامة وصقيع الرّماد، وربّما رغبة بنار الدّفء ونوره...

****

عندما تخسر المرأة من تحبّ تنتحب كثيرا... ولكنّها لا تبكي فقدانه وغيابه، بل ترثي شعورها الذي أغدقت... وتنعى لحظات أو سنوات العمر التي منها سُلبت.

****

قد يجعلنا تصميمنا وعزمنا نسير في الدّرب الذي رسمناه لخطواتنا راضين، وإن تعرّج وعَرَجت أقدامنا أثناء المسير، ونرفض المشي فوق أبسطة الحرير التي قد تبسط لنا؛ لنمرّ مرتاحين ... نراها أشواكا تخز أقدامنا، ونفضّل دربنا؛ لنثبت أنّ (الأنا) قادرة على تحمّل كلّ شديد، وتحقيق ما تريد ... فيا لنا من عبيد!

يشعرنا البوح بمكنونات النّفس ووجعها، بمزيد من وخز إبر الألم للحظات.

بعد حين، نكتشف أنّ في ذلك بعض تطبيب، وترقيعا لما تمزّق.

****

كثيرا ما تطفو أفكار على السّطح فتؤلمنا... نحاول التقاطها ورميها بعيدا لنرتاح من وجعها، فنجدها قد غطست عميقا، لتزيد من إرهاقنا في انتشالها.

****

بعض الكلمات أشبه بغلالة جميلة، يرشّ ترياق حروفها على جراح النّفس فيداويها.

وبعضها أشبه بموادّ كاوية، تزيد الجراح عمقا، وإيلاما فتقيّحها.

فوق ورود الحبّ والأمل تتراقص فراشات اللّهفة، على نغمات أوتار القلب الوَلِهِ

وتعلّق الأمانيّ بأعالي الأغصان

تجتاحها الرّغبة بفجر التّحقيق

يبزغ الفجر ...

ثمّ يلج اللّيل في النّهار، فتلج الأمانيّ صناديق العتمة.!

تفترش الذّكريات عاطفتنا وعقلنا

ونلتحف نحن بصقيعها مرّة، وأخرى بحرّها

نصلى...وكلّما التأم الجرح تحفره دبابيس الشّوق

يدمى ويسيل قهرا ولوعة على تراب تشقّق

****

إنّ أيّة كلمة تُلقى على مسامع المهموم، تكون ضربة رفش في رمس حزنه ... وقد تزيد من صراخ هامَة ذاك القبر ... وقد يشعر المحزون أنّ حزن سبعين ألف شخص لا يوازي نيران

بركان حزنه واشتعال دواخله ، ورجم حجارته لفكره وقلبه ... ولكنّه ينتفض من بين تلك الأكوام عنقاء للأمل

إذ لا بدّ لجناح الكناري من أن يهرب من منقار الغراب؛ ليحلّق في أجواء يستحقّها أكثر من المستنقع ولسعات البعوضِ ... لقد خُلقت الأجواء للتّحليق...

عندما تعتلي مشاعر الغضّب صهوة العقل، فإنّ حصان اليقين يتعثّر.

****

يحرق الرّوح جَلْدُ جميل المشاعر بسياط إساءة فهمها.

تغرّد حساسين الحكمة في سماء المعرفة
وتنعب غربان الغباء فوق حمأ الجهل
وتهمس الفطنة في رياض العقل

علّمني الصّبر الّا يطفح كيل التّحمّل بأذى الحمقى.

****

كلّما دقّت أسافين الحقد في جسد المؤمن، ازدادت روحه سلاما وإيمانا...
ليس كلّ من تسربل بسرابيل الفضيلة فاضلا، ولا كلّ من ألقيت عليه عباءات الرّذيلة فاجرا.

****

إذا أعرض المضيف عن الضّيف كشحا، فلا بدّ للأخير من فتح باب الرّحيل على مصراعيه .

من لم يروِ عطشه ماءُ أبريقه، فلن يرويَه ماء براميل الآخرين.

****

الجدال فيما لا يجدي جعجعة لسلاح صدئ.

****

خير ما يكافأ به المرء على جليل أعماله، هو رضا النّفس عمّا تقوم به .
كلّما هاجت نيران الشّوق لما يتعذّر الحصول عليه، أطفئها بماء الشّكر لله.

قد تشعرك السّنون أنّك تخوض معركة رابحة في لجّة صعوبات الحياة، لتكتشف في النّهاية أنّك جندي خاسر ألّا من غبار تلك المعركة.

****

إن أصابت سهام الرّيبة قلب الصّديق من صديقه، فليلتَحِف بالبعد عنه بلا رشق برماح الكره والغضب.

إن داهمتك فكرة مجبولة بوسوسة الشّيطان، فردّها ترشح بزمزم الإيمان.

****

يظلّ الأسد أسدا في موته، وإن توارى عن الأنظار كي لا يشهد نزعَه أحدٌ.

من لازم مستنقع الحياة، فلن يدمي جسمه لسع البعوض.

****

ليس بمقدور عمليّة القسطرة فتح انسداد شرايين قلب، تكلّس الحقد على جدرانها.

****

إن رويتَ أزهار بساتين الآخرين بصدق نيّة، فلا بدَّ أن تزهر في يوم ما وردة في صحرائك.
العين السّاهرة على آلام الآخرين ليست كالعين السّارقة لآمالهم وأحلامهم.

تنصاعُ قدما المرء للمشي على حزمة الأشواك التي يلقيها القدر في طريقه، لكن تثور ثائرته لملامسة رجله لريشة من إلقاء يد البشر!.

من أحاط نفسه بخفافيش الظّلام، لن يرى الحمائم التي تحلّق فوقه في وضح النّهار.

****

"إلقاء الحبل على الغارب" لا يعني دائما الحريّة. فلربّما أدّت حركة خاطئة لالتفاف الحبل على الرّقبة.